الدكتور شيخ امحمد

محاضــرة

الشيخ البشير الإبراهيمي

ولد محمد البشير الإبراهيمي يوم 19 جويلية 1889 بمدينة" سطيف" تعلّم بمسقط رأسه على يد والده وعمه، هاجر إلى الحجاز مع أهله قبيل الحرب العالمية الأولى ، وبها درس العلوم وفنونها وتفوق في جميعها، وقد أعانته ذاكرته القوية على تحصيل الدروس ،إلتقى في المدينة المنورة الإمام عبد الحميد بن باديس عام 1913، وتحدثا مطولاعن وضع الجزائر، وخططا لما يقومان به عند عودتهما غلى الجزائر ، ،فضل البقاء بدمشق اشتغل فيها بإلقاء المحاضرات، فنال إعجاب وتقدير من طلابه وزملائه.

العمل الإصلاحي

بدأ الشيخ البشير الإبراهيمي مهمته من خلال مهنة التعليم التي كان يرى فيها وسيلة فعالة من أجل إصلاح أوضاع الجزائر، بتوعية الشعب وتعليمه مبادئ دينه ولغته حتى يكون مستعداّ للدفاع عنها أمام المستعمر، وساهم مع بن باديس في تأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931 وعيّن نائبا للرئيس، كما اختير لتمثيل الجمعية في الغرب الجزائري بعد أن كلف بإدارة مدرسة دار الحديث بتلمسان، ونظرا لنشاطه المعادي للاستعمار اعتقل من طرف الإدارة الفرنسية ،و نفي إلى آفلو بالأغواط و رغم تواجده بالمنفى إلا أنه اختير رئيسا لجمعية العلماء بعد وفاة بن باديس. أطلق سراحه سنة 1943، وأعيد اعتقاله بعد تنديده بمجازر 08ماي 1945 بعد إطلاق سراحه ثانية واصل نشاطه الدعوي، على نهج بن

باديس و كان يكتب افتتاحية جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء، كما أصدر جريدة الشاب المسلم باللغة الفرنسية. انتقل سنة 1952إلى المشرق العربي و استقر بالقاهرة وبقي هناك إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية إذ أصدر بيان جمعية العلماء المسلمين، الداعي إلى إلتفاف الشعب بالثورة التحريرية.و في مصر كان له نشاط لصالح القضية الجزائرية إلى غاية الاستقلال. توفي في 20ماي 1965.

حارب الطرقية ، ومن بين ما كتب مقال تحت عنوان: (آثار الطرقية السيئة في المسلمين) ،يوضح الى ماذا وصلت الصُّوفيَّة من الْتجَرَّدة من جميع المعاني، ينتسب إليها كل من دبَّ ودرج، لا عن طريق التَّربية؛ ولكن عن طريق الدَّجَل والشَّعوَذَة، وخاضوا في شرح أُمور غيبيَّة، وأصبح مذهبُهم قائما على السِّرِّيَّة والتَّكتُّم، فتوافقت وتلاقَت مع الفِرَق الباطنية وغيرها من النِّحَل الفاسدة.

يقول الشيخ الإبراهيمي . تَتمِيمًا لكلامه السابق . في بيان هذه المرحلة: «ثم انتقلت[الصوفية] في القرون الوسطى من تلك الأعمال التي تستُرُ أصحابَها، إلى الأقوال التي تفضحُهُم، فخاضوا في شرح مُغَيِّبات...».

وقال رحمه الله: «ثُمَّ أَمِرَ أَمْرُ هذه الصُّوفيَّة، وتَقَوَّتْ على الزَّمَن، والتَقَت مع الباطنية . وغيرها من الجمعيات . التي تَبنِي أَمْرَها على التَّستُّر على طَبيعَةٍ دسَّاسة، وعِرْقٍ نَزَّاعٍ، ومِزَاجٍ مُتَّحِدٍ، واختلطت تعاليمُ هذه بتعاليم تلك، وتشابهت الاصطلاحات، وابتُلِيَ المسلمون من هذه النِّحل بدَاءٍ عُضَال.

أصبحت الصوفية فيما بعد مطيَّةً للمُحتلِّين و الزنادقة،وصار خَادِمًا لمآرِبِهم، فقال: «ثم تدلّت [الصُّوفية] دَرَكَةً أخرى، فأصبحت وَسِيلةَ مَعاشٍ، ومَصْيَدَةً لابتِزَاز أموال العامَّة، وانتهاكًا لأَعرَاضهم، وهناك التقَتْ مع الاستعمار في طريق واحد، فتَعَارَفَا، وتَعَاهَدَا على الوَلاَء.«...

يؤكد على أن من أسباب التفرق "العصبية العمياء".. العصبية المذهبية والعرقية والقبلية والسياسية الخ. ويشير إلي أن التعصب المذهبي طغي شرره في جميع الأقطار العربية الإسلامية، وكان له أسوأ الأثر في تفريق الكلمة (وإن في وجه التاريخ الإسلامي منها لندوبا). ويري أن آثارها في العلوم الإسلامية، فإنها لم تمدها إلا بنوع من الجدل المكابر، لا يسمن ولا يغني من جوع. ولا عاصم من شرور هذه العصبية إلا صرف الناشئة إلى تعليم فقهي يستند على الاستقلال في الاستدلال، وإعدادها لبلوغ مراتب الكمال، وعدم التحجير عليها في استخدام مواهبها إلى أقصى حد .ولقد اعتمد "الإبراهيمي" في منهجه الإصلاحي على: التوعية/ التنوير، والتربية.أما التوعية/التنوير، فهي لجماهير الشعب، الذي هو هدف الإصلاح ووسيلته معا، وأما التربية ، فهي للطلائع التي ينتظر منها أن تقود معركة التحرير والبناء والتقدم ولهذا اهتم الإبراهيمي بالشباب ، فعمل على تطهير عقولهم من الخرافات والأوهام ، فإنه كان يعني بالشباب عمدة المستقبل ، ويوجه إليهم النصائح.

إن الفقه عند الإبراهيمي ، ليس مجرد ذكر آراء الفقهاء وأدلتهم ووجوه دلالة تلك أدلالة على تلك الآراء ثم الانتهاء إلى مناقشة الآراء وأدلتها والترجيح بينها في قالب نظري بحت ، دون نتيجة عملية واضحة .. الفقه عند الإبراهيمي ليس هو تلك الدراسة النظرية البحتة البعيدة عن الواقع ومشكلاته ، وإنما هو الفقه الذي يعايش واقع الإنسان ويعالج قضاياه، ويتتبع ما تفرزه الحياة الصاخبة من مشكلات وتعقيدات ، فيتناولها بالدرس الدقيق المحيط بعناصرها المختلفة وملابساتها المتنوعة ، ثم يتبعها بالعلاج الصالح لها والكفيل بإنهائها والقضاء على آثارها وامتداداتها.

والفقيه الحق هو ذلك العالم الواعي النبيه الذي يضع نفسه أمام هموم الأمة ومشكلاتها موضع الطبيب الذي يحسن تشخيص الأمراض ويحسن وصف الدواء الناجع لها، وقد يصف لمريضين يعانيان مرضا واحدا دوائين مختلفين، لأن طبيعة الشخصين مختلفة، أو لأن أسباب المرض وتداعياته ليست واحدة.

الفقه عند الإبراهيمي، إذن، هو الإدراك الدقيق لمشكلات الواقع الإنساني وأسبابها وملابساتها، والقدرة على معالجتها معالجة حاسمة بهدي الإسلام وأحكامه. لذلك وجدنا الإبراهيمي ينعى على فقهائنا القدامى إغراقهم في الدراسة النظرية وبعدهم عن الواقع وعن تناول مشكلاته العملية.

أصدر الشيخ بيانا مؤيدا للثورة يوم 2 نوفمبر 1954 عنوانه "مبادئ الثورة في الجزائر" وقعه معه الشيخ الفضيل الورتيلاني، وتبعه بيان آخر يوم 15 نوفمبر 1954 بعنوان "نداء إلى الشعب الجزائري". ومنذ أن اندلعت الثورة كانت للشيخ اتصالات مستمرة مع عدد من قادتها ومع أعضاء جبهة التحرير الوطني الجزائري، الذين التحقوا بالقاهرة. وفي يوم 17 فيفري 1955 صدر بالقاهرة بيان يتضمن ميثاق جبهة تحرير الجزائر، وقعه كل ممثلي الأطياف الوطنية الجزائرية وهم: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والفضيل الورتيلاني ومحمد خيضر وأحمد بن بلة وحسين أيت أحمد والشاذلي المكي وأحمد بيوض وأحمد مزغنة ومحمد يزيد وحسين الأحول. وفي يوم 18 فيفري 55، صدر بالقاهرة أيضا بيان يتضمن اللائحة الداخلية لجبهة تحرير الجزائر، يحمل نفس التوقيعات. وتوالت الكلمات والبيانات والنداءات من الشيخ عبر وسائل الإعلام، خاصة في إذاعة صوت العرب، وكلها موجهة للشعب الجزائري وللمجاهدين الجزائريين ولكن أيضا للعرب والمسلمين.

وبمناسبة انعقاد مؤتمر (بندونغ بأندونيسيا – أفريل 1955). سعى الشيخ لتدويل القضية الجزائرية فاتصل بالجامعة العربية وبالملك سعود بن عبد العزيز وبالأمير فيصل وزير الخارجية، ، يطلب منه فيها أن يكلف الأستاذ أحمد الشقيري والأستاذ عبد الرحمان عزام أو أحدهما بمتابعة قضية الكفاح الجزائري والدفاع عنها، لأنهما يلمان إلماما تاما بشؤون الجزائر من جميع نواحيها مع الإخلاص والغيرة والجرأة المعروفة عنهما ، وقد كلف الملك سعود الأستاذ أحمد الشقيري للقيام بعرض قضية الجزائر على منظمة الأمم المتحدة، وتم ذلك بالفعل وألقى الشقيري المعروف بحنكته السياسية والدبلوماسية وبلاغته باللغة

الإنجليزية خطبة منظمة في الأمم المتحدة لصالح الثورة الجزائرية، لقيت صدى كبيرا لدى الوفود ، كانت الثورة حاضرة دوما في فكر الشيخ وفي قلبه، وقد أصدر فتوى دينية تتضمن دعوة للشعب الجزائري للإيمان بها والمشاركة فيها وتأييدها بكل قوة.

كان أعضاء الوفد الخارجي لجبهة التحرير والوفود الدبلوماسية للثورة وحتى أعضاء الحكومة المؤقتة يتصلون بالشيخ ويستشيرونه في كثير من القضايا ، أمثال فرحات عباس وبن يوسف بن خدة وأحمد فرنسين ولمين دباغين الذي يكنّ للشيخ احتراما كبيرا، وكريم بلقاسم الذي كان يحرص على زيارة الشيخ ويستشيره ويسترشد بآرائه، خاصة حينما يسافر في مهمات، وكان يخبره بكل التفاصيل حول الثورة. وحدث هذا التقارب مع كريم بلقاسم، رغم أنه ليس له ماض في الجمعية مثل عميروش وبن مهيدي وبن بوالعيد.

بعد الاستقلال وقع خلاف بين جماعة تلمسان بقيادة بن بلة والفئات الأخرى، أرسل الرئيس عبد الناصر للشيخ كلا من عزت سليمان وفتحي الديب، وهما مسؤولا جهاز المخابرات، يطلب منه الوقوف إلى جانب بن بلة وجماعته، وعرض عليه أن يضع تحت تصرفه طائرة خاصة تقله إلى الجزائر. لكن الشيخ رفض ذلك وردد قائلا: " كلهم أبنائي" ونشر نص التصريح في الصفحة الأولى من جريدة الجمهورية المصرية، وهو ما يفسر غضب بن بلة على الشيخ .

عندما عاد الشيخ إلى الجزائر عقب الاستقلال ، عاش عاش في عزلة حتى وفاته يوم 20 ماي 1965.